

الذكرى الخمسون لمؤتمر باندونغ التاريخي

أ. أحمد سعيود

تمر هذه السنة على مؤتمر باندونغ التاريخي خمسون سنة، وقد عد هذا المؤتمر الذي انطلقت منه صيحات الحرية والاستقلال بحق مؤتمر الحرية والسلام، حيث عالج العديد من القضايا الاستعمارية في مقدمتهم القضية الجزائرية، ولعله من المناسب جدا أن نقف وقفة تأمل مع ما قدمه هذا المؤتمر من دعم دبلوماسي للشورة الجزائرية آنذاك، خاصة وأن ذكره هذه تتزامن مع الاحتفالات المخلدة للذكرى الخمسين لشورة الفاتح من نوفمبر 1954 أيضا.

مؤتمر باندونغ منعرج حاسم في تاريخ الشورة الجزائرية:

اندلعت الشورة الجزائرية في وقت كانت الجزائر في نظر جل العالم بلادا فرنسية، وكان الشعب الجزائري لا وجود له كشعب ذي كيان مستقل، في نظر الكثيرين، ولهذا أدركت جبهة التحرير الوطني منذ الوهلة الأولى أن المعركة مع المحتل الفرنسي تدور في نطاق عالمي وهذا ما يفسر عزمهما

الخروج بالقضية الجزائرية إلى الميدان العالمي حتى يتسنى لها الاستناد إلى الشعوب والحكومات المؤيدة لقضية حرية الشعوب في تقرير مصيرها. وفي الإطار أولت جبهة التحرير الوطني منذ البداية المعركة الدبلوماسية نفس التي أولتها للكفاح المسلح، وهذا لإسماع صوت الجزائريين للعالم الخارجي، العالم الذي لا يعرف عن الشعب الجزائري ولا عن أهدافه المشروعة شيئا، وكان من أهم الأهداف التي ترمي إليها جبهة التحرير الوطني في طورها تحطيم الحصار الذي ضربه الاستعمار على القضية الجزائرية منذ ما يقرب من قرن وربع قرن، والقيام بدعاية واسعة النطاق لقضية الشعب الجزائري في الخارج، ولهذا قامت في وقت مبكر عن طريق بعثتها الخارجية بالقاهرة بعمل دعائي ودبلوماسي، القصد منه أن تظهر للعالم حالة الشعب الجزائري على وجهها الحقيقي لأنها كانت تدرك أن الحكومة الفرنسية لديها جميع الوسائل لتبرير وجودها بالجزائر ولقلب الحقائق لتصرف أنظار العالم عن شعب وكان من حسن حظ الثورة الجزائرية أن تزامنت مع التحضير لعقد مؤتمر باندونغ، هذا الحدث الكبير الذي يعد من أهم المؤتمرات الدولية التي عقدت بعد الحرب العالمية الثانية. إذن لقد بدأ الشعب الجزائري كفاحه المسلح ضد المحتل الفرنسي وأعلن ثورته بقيادة جبهة التحرير الوطني على الأوضاع الاستغلالية التي فرضت على بلاده، و كانت البلاد الإفريقية والآسيوية تسعى فيما بينها وتمهد الطريق لعقد مؤتمر يجمع لأول مرة في التاريخ دول وشعوب القارتين، ولما كان طرح القضية الجزائرية على الهيئات الدولية والمؤتمرات الدولية الأخرى من ضمن الأهداف التي سطرتها جبهة التحرير الوطني غداة انطلاق الثورة بعنوان:

الأهداف الخارجية "تدويل القضية الجزائرية"، ولهذا كان لزاما عليها ألا تضع مثل هذه الفرصة للتعريف بالقضية الجزائرية وطرحها على بساط المسرح الدولي.⁽¹⁾

وقبل التعرض لمؤتمر باندونغ يجدر التذكير أن لقاء تحضيريا تم عقده في بوقور. يومي 28، 29 ديسمبر 1954، أي بعد مرور شهرين على اندلاع الثورة، حضره الرؤساء الخمسة لكل من اندونيسيا، الباكستان سيلان، بورما، سيرى لانكا، لدراسة الترتيبات قصد الدعوى لأول مؤتمر أفريقي آسيوي في باندونغ في أبريل 1955.⁽²⁾

وقد بادرت جبهة التحرير الوطني إلى إرسال وفد يتكون من السيدين: **حسين آيت أحمد ومحمد يزيد** لحضور هذا اللقاء للتعريف بالثورة الجزائرية وبأهدافها.

ولم يكن من السهل على أعضاء الوفد آنذاك إقناع المجتمعين بأن الجزائر ليست جزءا من فرنسا وأن القضية هي قضية شعب سلبت منه حريته وصودرت حقوقه خاصة إذا ما علمنا أن جبهة التحرير الوطني لم يكن مضى على وجودها سوى شهرين فقط.

وكان أول عمل دبلوماسي لجبهة التحرير الوطني إذن — طبقا لبيان أول نوفمبر 1954 — يتمثل في القيام بنشاط لإدراج القضية الجزائرية في إطارها الطبيعي أي الإطار الأفريقي الآسيوي.⁽³⁾

وعلى هذا الأساس قدم وفد جبهة التحرير الوطني مذكرة لرؤساء الحكومات الخمس المجتمعين في بوقور يومي 28 و 29 ديسمبر 1954 طالب الأخذ بعين الاعتبار الوضع الجديد في الجزائر، كما طالب بإدراج قضية

العربي في جدول أعمال المؤتمر الإفريقي الآسيوي الأول، وكان هذا اللقاء فرصة خارج الإطار العربي استغلتها جبهة التحرير الوطني للتعريف بنفسها وبالثورة الجزائرية.⁽⁴⁾

لقد قدم الوفد الجزائري - إذن - مذكرة طالب فيها من المجتمعين وضع القضية الجزائرية في نفس مستوى القضيتين التونسية والمراكشية، واعتبار القضايا الثلاث معا قضية واحدة نظرا لوحدة النضال والمصير المشترك. كما ساعد على تقديم مذكرة وفد جبهة التحرير الوطني وكذا الاتصالات التي أجراها الوفد مع العديد من الوفود وبالأخص المحادثة المطولة التي أجراها مع الرئيس الاندونيسي (أحمد سوكانو) مكنت من الحصول على تعهد بأن تدرج قضية المغرب العربي في جدول أعمال المؤتمر الإفريقي الآسيوي الأول، وبأن تمنح صفة مراقب للوفد الذي يضم ممثلين عن جبهة التحرير الوطني والحزب الدستوري التونسي الجديد، وحزب الاستقلال المغربي. وقد أسفر اجتماع بوقور عن قرار يتضمن عقد أول مؤتمر إفريقي آسيوي في باندونغ بإندونيسيا في الفترة من 18 - 24 أبريل 1955.

أما بخصوص الوضع في الجزائر فقد أنهى المجتمعون لقاءهم دون أن يتعرضوا إلى ما يجري في الجزائر منذ حوالي شهرين، واقتصروا في بيانهم الختامي على قضيتي تونس والمغرب فقط.⁽⁵⁾

ويرجع ذلك إلى أن الاتجاه الذي كان سائدا آنذاك لدى المجتمعين هو تأجيل مناقشة القضية الجزائرية إلى وقت لاحق على خلاف القضيتين التونسية والمراكشية، وذلك لكونهما كانتا قد قطعتا أشواطا معتبرة على صعيد الأمم المتحدة، كما قطعتا أيضا أشواطا أخرى على صعيد المفاوضات مع فرنسا.⁽⁶⁾

غير أنه وبالرغم من أن المجتمعين لم يتناولوا القضية الجزائرية بالبحث إلا أن الوفد حقق نتيجة إيجابية وهي حصوله على تعهد بأن تمنح صفة مراقب للوفد الجزائري الممثل لجبهة التحرير الوطني للمشاركة في مؤتمر باندونغ ضمن وفد مغاربي، وبهذا تكون جبهة التحرير الوطني قد تخطت العقبة الأولى.

وتحضيرا للمشاركة في هذا المؤتمر باشرت جبهة التحرير الوطني عقب لقاء **بوقفور** مباشرة اتصالاتها مع الدول التي ستشارك فيه، خاصة تلك التي أبدت تحفظاتها اتجاه القضية الجزائرية أثناء لقاء **بوقفور**.

وفي هذا السياق بادرت البعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني في المشرق العربي إلى إرسال وفد يتكون من السيدين حسين آيت أحمد، محمد يزيد إلى بلدان جنوب آسيا، كما وكلف السيد محمد خيضر بالسعي لدى الحكومتين السعودية والمصرية نظرا لوزنهما السياسي في أوساط الدول العربية والإسلامية.⁽⁷⁾

وقد طاف الوفد بكافة الأقطار الآسيوية داعيا إلى القضية الجزائرية ومعرفا بها وفي كل مرة كان يقدم مذكرة يشرح فيها أهداف جبهة التحرير الوطني المتمثلة في حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير مصيره، واستطاع أن يقنع الدول الداعية إلى المؤتمر بضرورة طرح القضية الجزائرية على بساط البحث إلى جانب قضيتي تونس ومراكش.

ولما كانت قضية المغرب العربي قضية واحدة، نظرا للمصير المشترك لشعوب شمال أفريقيا؛ ولأن الصراع يدور مع عدو قوي يمكنه الاعتماد على تضامن دولي يقوم على أسباب استراتيجية تم الاتفاق بين قادة الحركات الثلاث، حزب الدستور التونسي الجديد، وجبهة التحرير الوطني، وحزب

الاستقلال المغربي على العمل في نطاق وحدة المغرب العربي لضمان النجاح المشترك.

وبالفعل تم تكوين وفد موحد يمثل شمال إفريقيا لدى مؤتمر باندونغ يشارك فيه ممثلون عن الحركات الثلاث ويقوم بنشاط موحد في الاتصال بالمؤتمر واستمداد العون من دوله وشعوبه بقصد الوقوف مع قضية المغرب العربي موقفا واحدا يساعد على نيل حريته و استقلاله ليستطيع المساهمة في إبراز الأمن والسلام في ربوع العالم وهي المهمة الأساسية التي يهدف إليها المؤتمر ويسعى للحصول عليها عن طريق محو الاستعمار.⁽⁸⁾

مؤتمر باندونغ والقضية الجزائرية:

انعقد المؤتمر في الفترة من 18-24 من شهر أبريل 1955 - أي بعد أقل من 06 أشهر على اندلاع الثورة- ويأتي انعقاده بناء على التوصية التي جاءت في اللائحة التي أقرها المجتمعون في بوقور في ديسمبر 1954، وحضرت وفود إلى المؤتمر تمثل تسعا وعشرين دولة، كما دعيت لحضوره أربع حركات تحريرية (تونس والجزائر والمغرب وقبرص) كأعضاء ملاحظين⁽⁹⁾ وشاركت فيه جبهة التحرير الوطني بوفد يتكون من السيدين: حسين آيت أحمد ومحمد يزيد، وعلى الرغم من تميز كفاح الشعب الجزائري ومطالبه عن مطالب البلدين الشقيقين المغرب وتونس إلا أن الجبهة لم تشارك بوفد منفرد وإنما شاركت ضمن وفد مشترك يضم ممثلين عن جبهة التحرير الوطني وحزب الدستور التونسي الجديد، وحزب الاستقلال المغربي.⁽¹⁰⁾

وقدم الوفد المشترك مذكرة شرح فيها الوضع المأساوي الذي تعيشه شعوب شمال إفريقيا مع ملحق يخص القضية الجزائرية، طالب فيها بالاعتراف للبلدان الثلاث بحق تقرير المصير.

وقد كانت للوفد الجزائري عدة أنشطة تمثلت في تعريف المؤتمرين بالوضع المأساوي الذي يعيشه الشعب الجزائري، وأكد على أن الشعب الجزائري الذي حمل السلاح تحت لواء جبهة التحرير الوطني لن يهدأ له بال حتى يحرر بلاده من براثن الاستعمار، وطلب من المؤتمرين تقديم الدعم للقضية الجزائرية في الأمم المتحدة.⁽¹¹⁾

وقد درس المؤتمر الوضع في إفريقيا وآسيا وناقش الطرق والأساليب التي تستطيع شعوب هاتين القارتين أن تحقق بواسطتها ما تصبو إليه، وناقشت اللجان المكلفة بدراسة مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية طيلة أسبوع، وقد حظيت قضية تحرير شعوب المغرب العربي باهتمام المؤتمرين، وبالأخص قضية الشعب الجزائري، حيث كانت محل دراسة من طرف المؤتمرين ووجدت العديد من المدافعين عنها إلى جانب البلدان العربية، إذا ارتفعت أصوات لتدافع في إطار اللجنة السياسية عن قضية الشعب الجزائري وتساند المذكرة التي قدمها وفد جبهة التحرير الوطني، وقد تجلّى ذلك في البيان الختامي الذي تمت المصادقة عليه بالإجماع عن تأييد المشاركين لقضية تحرير الشعوب وحصولها على استقلالها، ودعا المؤتمر الدول التي يعينها الأمر أن تمنح الشعوب التي تحكمها حريتها واستقلالها، وبخصوص الوضع في شمال إفريقيا أقر المؤتمر ما يلي:

في المجال السياسي:

نظرا لحالة الاضطراب السائد في شمال إفريقيا، ولرفض حق شعوب شمال إفريقيا بأن تقرر مصيرها بنفسها، فإن المؤتمر الآسيوي الإفريقي «يعلن تأييده لشعوب: الجزائر، مراكش، تونس أن تقرر مصيرها بنفسها. وأن تعلن استقلالها، ويحث الحكومة الفرنسية على اللجوء إلى وضع حل سلمي لقضايا هذه الشعوب دون تأخير».(12)

في المجال الثقافي:

أشار المؤتمر إلى أن الاستعمار القائم في كثير من أجزاء أفريقيا وآسيا كيفما كان شكله، يعمل على عرقلة التعاون الثقافي ويضطهد ثقافة الشعوب، وأن دولا استعمارية قد حرمت الشعوب التي تحكمها من الحقوق الأولية في حقول التعليم والثقافة، الأمر الذي يعرقل تطور شخصية هذه الشعوب ويحول دون تقدم العلاقات الثقافية بين الشعوب الآسيوية والأفريقية، وهذه الحالة تأخذ شكلا صريحا في تونس ومراكش والجزائر حيث يحرم الشعب من دراسة لغته وثقافته الخاصتين به.(13)

ويجب الوقوف قليلا عند هذا الحدث، فقد كان لقرار التسع والعشرين دولة المشاركة في المؤتمر الذي أعلنت فيه تأييدها لكفاح الشعب الجزائري في سبيل تقرير المصير والاستقلال ووضعها القضية الجزائرية في مستوى القضيتين التونسية والمراكشية، صدى كبيرا ودعما قويا للثورة الجزائرية. كما كان هذا المؤتمر أول فرصة ظهرت فيها القضية الجزائرية على الساحة الدولية. كانت دعوة وفد جبهة التحرير الوطني لحضور المؤتمر كملاحظ أول نجاح معتبر حققته جبهة التحرير الوطني على المستوى الخارجي.

وفي الأخير نشير إلى أن الجزائر وجدت في هذا المؤتمر ميدانا ملائما لتفهم وخدمة قضيتها، كما وجدت الشعوب الإفريقية الآسيوية أيضا في الثورة ما يرضيها ويحقق آمالها. وكان من الطبيعي أن يقدم المؤتمر تأييده لكفاح الشعب الجزائري الذي فرض القضية الجزائرية على المسرح الدولي، ويعود الفضل في هذا النجاح أولا لصدى ارتفاع درجة الكفاح القوي منذ أول نوفمبر 1954، ثم لنشاط ممثلي جبهة التحرير الوطني في الشرق الأوسط وفي جنوب شرق آسيا، وهناك عامل آخر لا يقل أهمية وهو تأليف وفد مغربي موحد يمثل شمال إفريقيا.

وبهذه النتيجة تكون جبهة التحرير الوطني قد كسبت أول معركة لها على الصعيد الدبلوماسي بعد تلك التي كسبتها على مستوى الدول العربية التي احتضنت الثورة الجزائرية دون قيد أو شرط، وهكذا تكون قد حققت هدفا من أهدافها الكبرى على المستوى الخارجي والذي كانت قد رسمته في بداية الثورة والمتمثل في تدويل القضية الجزائرية وجعلها في مستوى القضيتين التونسية والمراكشية على المستوى الدولي، إلى جانب نجاح آخر حققته وهو اعتراف المشاركين بها كممثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري بدون منازع، وكان لهذا الاعتراف صدى كبيرا ودعما قويا للثورة الجزائرية في الداخل والخارج.

الهوامش

1: انظر: الأستاذ/ أحمد سعيود، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة بعنوان: العمل الدبلوماسي لجهة التحرير الوطني 54- 58 قسم التاريخ جامعة الجزائر 2002 / 2003، ص 50- 51.

2: انظر: ج. ب. د. روزيل، التاريخ الدبلوماسي، (ترجمة الدكتور نورالدين حاطوم) دمشق، دار الفكر، ط. 2، 1978، ص. 291.

3: مقابلة مع المجاهد (محمد يزيد)، عضو وفد جبهة التحرير الوطني المشارك في مؤتمر باندونغ الجزائر أوت 1995.

4: المصدر نفسه

- 5: مركز الأرشيف الوطني، رصيد الحكومة الجزائرية المؤقتة علبة رقم 149.
- 6: محمد يزيد مصدر سابق.
- 7: م. أ. و. ر. ح. م. ج. ج.، علبة 99.
- 8: أ، سعيد، مرجع سابق.
- 9: البلدان المشاركة هي: أفغانستان، بورما، كمبوديا، سيلان، الصين، مصر، الحبشة، الساحل الذهبي، الهند، إندونيسيا، إيران، العراق، اليابان، الأردن، لاوس، لبنان، ليبيا، نيبال، باكستان، الفلبين، العربية السعودية، السودان، سوريا، تايلاند، تركيا، شمال الفيتنام، جنوب الفيتنام، اليمن، انظر: مختار مرزاق، حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، ص 67.
- 10: من المعلوم أنه تم تأليف وفد موحد يمثل شمال إفريقيا لدى مؤتمر باندونغ شارك فيه كل من حزب الدستور التونسي الجديد وجهة التحرير الوطني وحزب الاستقلال المغربي، انظر م. أ. و. ر. ح. م. ج. ج.، علبة 99.
- 11: نفسه
- 12: نفسه، علبة 01.
- 13: مؤتمر باندونغ، دراسة وتحليل، كارلوس زوميلو، ترجمة نجاتي صدقي، منشورات دار الكتاب، بيروت - لبنان، ص 67.